الباقلاني والرد على المشككين في القرآن
من خلال كتابه إعجاز القرآن

الباحثة/ أسماء مدني العوفي
محاضر بقسم الدراسات الإسلامية
جامعة طيبة

الحمد لله رب العالمين، مدبر أمر خلقه أجمعين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحة الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. أما بعد ...

فإنه لم يخل عصر قط من أناس ينتقضون القرآن والسنه ويسعون إلى القدح و الطعن فيهما، إتباعا لهوى جارف في نفوسهم و استمساكا برؤى أملاها عليهم تعصبهم لمذاهبهم .

وقد كان من البديهي أن يتصدى جماعة من أهل العلم لبيان فساد مذهب هؤلاء والرد عليهم، وهكذا قام الإمام الباقلاني بتأليف كِتابِه "إعجاز القرآن " من أجل الرد على المشككين في القرآن وإعجازه وبيان شبههم ، لذا أحببتُ أن يكون موضوع هذا البحث بعنوان : **الباقلاني والرد على المشككين في القرآن من خلال كتابه إعجاز القرآن.**

مشكلة البحث :

بيان الشبه التي أثيرت حول القرآن الكريم وإعجازه ، ورد الإمام الباقلاني عليها .

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تتجلى القيمة العلمية للموضوع فيما يلي:

١- اتصال الموضوع بكتاب الله عز وجل، وتعلّقه به غاية التعلق.

٢- اهتمام الإمام الباقلاني بالدفاع عن القرآن الكريم ويظهر ذلك من خلال رده على الشبهات التي قيلت عن القرآن الكريم.

٣- كتابُ الإمام الباقلاني مليء بالفوائد التي ينبغي الاعتناءُ بها وإظهارها.

٤- أهمية دراسة المصنفات العلمية التي خلفها السلف العظيم من جميع النواحي، واستخراج ما فيها من فوائد.

خطة البحث ومنهجي فيه:

اقتضت طبيعته أن يُقسّم إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة:

ففي المقدمة : بينت الغرض من البحث والخطة التي قام عليها البحث .

والمبحث الأول: خصص للتعريف بالإمام القاضي الباقلاني من حيث بيان اسمه، نسبه، مولده، شيوخه وتلاميذه، آثاره ومؤلفاته، ذكاؤه وقوة لسانه، ولادته ووفاته.

المبحث الثاني: للتعريف بكتاب إعجاز القرآن والسبب الذي دعا المؤلف إلى تأليفه .

المبحث الثالث: لبيان الشبه التي أثيرت حول القرآن وإعجازه وبيان رد الباقلاني عليها.

ثم الخاتمة: وذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها في البحث .

وقد اعتمدت في البحث على **المنهج الاستقرائي** من خلال تتبعي لجميع الشبهات الواردة في الكتاب، ثم **المنهج التحليلي والنقدي** لبيان رد الباقلاني على هذه الشبهات.

أسأل الله السداد والرشاد، وأن يلهمني الإخلاص في القول والعمل، فإن أصبت فذلك فضل من الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وصلِّ اللهم وسلم على عبدك ونبيك محمد'.

المبحث الأول

التعريف بالإمام الباقلاني

اسمه :

هو القاضي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البِصْرِيُّ البَغْدَادِيُّ البَاقِلاَّنِيّ المتكلم الفقيه، يكنى بأبي بكر، لقب بالبصري نسبة إلى البصرة لأنه ولد ونشأ بها ، والبغدادي نسبة إلى بغداد لأنه رحل إليها وسكن بها ، والباقلاني نسبة إلى الباقلي وبيعه، ولد بالبصرة سنة ثمانية وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية[١].

مذهبه :

كان على مذهب أبي الحسن الأشعري مؤيدا لاعتقاده وناصرا لطريقته[٢]، ولكنه قد يخالفه في بعض الأمور [٣]، وكان في علمه أوحد زمانه ، وأعرف الناس بعلم الكلام وأجودهم لساناً وأوضحهم بياناً ، وله مؤلفات كثيرة في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية وغيرهم [٤]، وكان من كبار فقهاء المذهب المالكي ، وإليه انتهت الرياسة في مذهبه[٥]، وكان موصوفا بجوده الاستنباط وسرعة الجواب، وسمع الحديث، وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة[٦].

شيوخه:

تتلمذ الباقلاني على مجموعة من العلماء كان لهم أكبر الأثر في تغذية عقليته، وصقل موهبته، وتنوع اهتماماته العلمية، منهم: ابن مجاهد الطائي، وعنه أخذ علم الكلام والفقه المالكي وأصوله، والشيخ الصالح أبو الحسن الباهلي الذي أخذ عنه علم الأشعري،

---

[١] ينظر: **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي ٣٦٤/٣ ، **وفيات الأعيان** لابن خلكان ٢٧٠/٢ ، **الأعلام** للزركلي ١٧٦/٦؛ **هداية القاري** للمرصفي ٧٠٨/٢ ، **أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني** لأحمد العمري ص ٨.

[٢] ينظر: **تاريخ بغداد** ٣٦٤/٣ ؛ **وفيات الأعيان** ٢٦٩/٢.

[٣] ينظر: **سير أعلام النبلاء** للذهبي ١٩٠/١٧.

[٤] ينظر: **تاريخ بغداد** ٣٦٤/٣.

[٥] ينظر: **سير أعلام النبلاء** ١٩١/١٧.

[٦] ينظر: **وفيات الأعيان** ٢٦٩/٢.

ومحمد الأبهري المالكي، والحسين النيسابوري، وأبو بكر بن مالك، وأبو محمد بن ماسي، والقطيعي وغيرهم [١].

تلاميذه:

حدَّث عنه: الحافظ أبو ذر الهرويُّ، وأبُو جعفرٍ محمد بن أحمد السِّمْنَاني[٢]، وقاضي الموصل، والحسين بن حاتمٍ الأُصولي[٣].

أما تلاميذه فهم كثيرون.. فقد كان له في جامع المنصور ببغداد حلقة كبيرة، يتحلق فيها مقدرو علمه وطالبو فضله[٤]، ولكن من أشهرهم ما ذكرتهم المصادر القديمة وهم أبو عبد الله الأزدي، وأبو طاهر البغدادي اللذان هاجرا إلى القيروان ونشرا علمه هناك[٥].

ذكاؤه وقوة لسانه:

كان مضرب المثل بفهمه وذكائه وسرعة بديهته[٦]، وله مواقف عديدة تدل على ذلك ، ومنها "ما روي أن الملك الملقب بعضد الدولة كان قد بعث القاضي أبا بكر ابن الباقلاني في رسالة إلى ملك الروم، فلما ورد مدينته عرف الملك خبره، وبين له محله من العلم وموضعه، ففكر الملك في أمره وعلم أنه لا يكفر له إذا دخل عليه، كما جرى رسم الرعية أن تقبل الأرض بين يدي الملوك، ثم نتجت له الفكرة أن يضع سريره الذي يجلس عليه وراء باب لطيف لا يمكن أحدا أن يدخل منه إلا راكعا؛ ليدخل القاضي منه على تلك الحال، فيكون عوضا من تكفيره بين يديه، فلما وضع سريره في ذلك الموضع أمر بإدخال القاضي من الباب، فسار حتى وصل إلى المكان، فلما رآه تفكر فيه، ثم فطن بالقصة فأدار ظهره، وحنا رأسه راكعا ودخل من الباب وهو يمشي إلى خلفه، وقد استقبل الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه ونصف ظهره، وأدار وجهه حينئذ إلى الملك فعجب من فطنته، ووقعت له الهيبة في نفسه"[٧].

---

[١] ينظر: **تاريخ بغداد** ٣٦٤/٣ ؛ **سير أعلام النبلاء** ١٩٠/١٧؛ **أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني** ص٩.

[٢] ينظر: **تاريخ بغداد** ٣٦٤/٣.

[٣] ينظر: **سير أعلام النبلاء** ١٩١/١٧.

[٤] ينظر: المرجع السابق.

[٥] ينظر: **أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني** ص١٠.

[٦] ينظر: **سير أعلام النبلاء** ١٩٠/١٧.

[٧] **تاريخ بغداد** ٣٦٤/٣.

آثاره ومؤلفاته :

ألف عددا كبيراً من الكتب الدينية ذات الصبغة الكلامية وكان أغلبها في الرد على المخالفين، ومن أشهر كتبه (إعجاز القرآن) الذي حدّد فيه مفهومه للإعجاز القرآني ، ومن كتبه أيضاً (الإنصاف) و(مناقب الأئمة) و(دقائق الكلام) و(الملل والنحل) و(هداية المرشدين) و(الاستبصار) و(تمهيد الدلائل) و(البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة إلخ) و(كشف أسرار الباطنية) و(التمهيد، في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة) وغيرها من الكتب [١].

وقد ذكرت كتب التراجم أن القاضي الباقلاني كان يكتب في كل ليلة حوالي خمس وثلاثين ورقة من حفظه ، وقيل أيضاً أن مجموع ما كتبه وصل إلى سبعين ألف ورقة [٢].

وفاته:

مات القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربع مائة، وصلى عليه ابنه الحسن، ودفنه في داره بدرب المجوس، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب، ورثاه بعض شعراء عصره فقال يصفه محمولاً ومقبوراً:

انظر إلى جبل تمشي الرجـــــال به ... وانظر إلى القبر مايحوي من الصلف
وانظر إلى صارم الإسلام مغتمدا ... وانظر إلى درة الإسلام في الـــــصدف[٣]

---

[١] ينظر: **الأعلام** ١٧٦/٦.

[٢] ينظر: **سير أعلام النبلاء** ١٩٠/١٧.

[٣] ينظر: **تاريخ بغداد** ٣٦٤/٣ ؛ **وفيات الأعيان** ٢٧٠/٢ ؛ **سير أعلام النبلاء** ١٩٢/١٧.

المبحث الثاني

التعريف بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني

يعتبر كتاب إعجاز القرآن أول كتاب صنف في الرد على مزاعم الملحدين والمخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم، لذلك بلغ بهذا الكتاب مكانة مرموقة، وشهرة ذائعة، لم يصل إليها أحد غيره، وهو يعتبر كذلك من أجود وأفضل ما صنف في إعجاز القرآن الكريم على مر العصور .

وقد كان السبب الذي دعا المؤلف إلى وضع كتابه هذا سؤال بعض القريبين منه أن يضع لهم وللناس كتاباً يبين وجه الإعجاز للقرآن الكريم ، يقول الباقلاني : " وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة، تسقط الشبهات، وتزيل الشكوك التى تعرض للجهال، وتنتهى إلى ما يخطر لهم، ويعرض لأفهامهم من الطعن في وجه المعجزة. فأجبناه إلى ذلك، متقربين إلى الله عز وجل، ومتوكلين عليه وعلى حسن توفيقه ومعونته. ونحن نبين ما سبق فيه البيان من غيرنا، ونشير إليه ولا نبسط القول، لئلا يكون ما ألفناه مكررا ومقولا، بل يكون مستفادا من جهة هذا الكتاب خاصة، ونضيف ما يجب وصفه من القول في تنزيل متصرفات الخطاب، وترتيب وجوه الكلام، وما تختلف فيه طرق البلاغة، وتتفاوت من جهته سبل البراعة..."[1].

منهج الإمام الباقلاني في كتابه :

قسّم المؤلف كتابه إلى فصول متوالية، كل فصل يرتبط بما بعده، ويوصل إليه أيضا، تناول في كل فصل منها ناحية من النواحي التي تبرز وجوه الإعجاز القرآني.

فافتتح هذه الفصول بفصل تحدث فيه عن نبوة النبي ﷺ، وأنّ معجزتها القرآن، وذكر الباقلاني في بدايته أنه خصّص هذا الفصل للرد على المتكلمين، وتفنيد مزاعمهم، والفصل الذي يليه بين وجه الدلالة على أن القرآن معجزة في ذاته ، وفي الفصل الثالث بين أن هذا الإعجاز يردّ إلى ثلاثة أوجه: (تضمنه الإخبار عن الغيوب، وما فيه من القصص الديني وسير الأنبياء مما روتْهُ الكتب السماوية مع أن الرسول ﷺ كان أميّا لا يقرأ ولا يكتب، ثم بلاغته)، ثم في الفصول التالية حاول الباقلاني أن ينفي الشعر

---

[1] **إعجاز القرآن** للباقلاني ص ٥١ .

والسجع عن القرآن، ثم ذكر الصور البيانية، والعناصر الجمالية التي يمكن أن يقع بها إعجاز القرآن.

وبعد أن انتهى المؤلف من دفاعه عن القرآن، انتقل إلى موضوع آخر وهو كيفية الوقوف على إعجاز القرآن، حيث استعرض العناصر البلاغية التي تناولها أهل اللغة ، وظل ينتقل الباقلاني من موضع بلاغي إلى آخر، ومن صورة شعرية فنية إلى أخرى، ملقياً الضوء على ما فيها من أبعاد وظلال فنية، حتى أتي على كل العناصر البلاغية التي تناولها العلماء، وظنوا أنها السبيل إلى معرفة أسرار الإعجاز القرآني، ولكنه في آخر المطاف وضع أمام الأذهان سؤالاً هاماً، هل لأبواب البديع فائدة في معرفة الإعجاز؟ ويجيب على هذا السؤال إجابة صريحة فيقول: "لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع....، لأن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب والتصنع له[1]".

ثم في الفصل الثامن بين (كيفية الوقوف على إعجاز القرآن) حيث ذكر فيه أنه لا يقف عليه إلاّ مَنْ عرف معرفة بيِّنة وجوه البلاغة العربية، وتكوَّنت له فيها ملكة يقيس بها الجودة والرداءة في الكلام بحيث يستطيع التفريق بين شعر شاعر وآخر ، وللتأكيد على ذلك ساق طائفة من خطب الرسول ﷺ ورسائله، ومن خطب الصحابة وغيرهم.. ليلمس القارئ فرق ما بين ذلك كله وبين القرآن ، وكذلك ذكر مجموعة من شعر العرب مثل امرئ القيس وغيره .

ثم في الفصول الأخيرة من الكتاب تكلم عن الإعجاز وحقيقته وما يتعلق به من أمور[2].

والذي يظهر والله أعلم أن الباقلاني **<u>وضع كتابه لأهداف هامة هي</u>** :

١- إثبات أن القرآن الكريم معجز .

٢- بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم من وجهة نظره .

٣- الرد على كل من أنكر القرآن أو إعجازه وأثار الشبهات حوله .

"ولا يخفى أيضاً أن الكتاب بالإضافة إلى كونه في إعجاز القرآن فإنه يعتبر كتاباً في النقد الأدبي والموازنات الشعرية ، وهذا يدل على أن المؤلف كان ضليعاً بالأدب

---

[1] **إعجاز القرآن** ١٩٦.

[2] ينظر: **الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني** .

وأصنافه ، وبالشعر والشعراء ، ومع ذلك يظل هذا الكتاب أفضل ما كتب في إعجاز القرآن وكاتبه من المعدودين الذين تخصصوا في هذا المجال ، فجزاه الله عن نيته وما عمله وما قدمه للإسلام والمسلمين خيراً" [١].

[١] **إعجاز القرآن** ، مقدمة المحقق، ص٤٤.

المبحث الثالث

الشبه التي أثيرت حول القرآن ورد الباقلاني عليها

هذه أبرز الشبه التي أثيرت حول القرآن الكريم والتي وردت في كتاب إعجاز القرآن ، ورد الإمام الباقلاني عليها :

الشبهة الأولى :

التشكيك في كون القرآن هو معجزة نبينا محمد ﷺ ، وأن الله بنى أمر نبوته ﷺ عليه.

الرد عليها :

للرد على هذه الشبهة أفرد الإمام الباقلاني فصلاً في كتابه بعنوان (أن نبوة محمد ﷺ معجزتها القرآن) حيث سرد فيه الأدلة التي تدحض هذه الشبهة ، واستدل ببعض من الآيات والسور التي بينت أن القرآن معجزة نبينا محمد ﷺ وأن نبوته مبنية عليه، "ومن ذلك قول الله تعالى {وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ} [سورة العنكبوت:٥٠-٥١]، فقد أخبر الله في هذه الآية أن الكتاب آية من آياته وعلم من أعلامه وأن ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره ، وآيات من سواه من الأنبياء صلوات الله عليهم ، ويدل عليه قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ} [سورة الشورى:٢٤] فدلّ على أنه جعل قلبه مستودعاً لوحيه، ومستنزلاً لكتابه، وأنه لو شاء صرف ذلك إلى غيره ، وكان له حكم دلالته على تحقيق الحق وإبطال الباطل ، مع صرفه عنه، ولذلك أشباه كثيرة تدل على نحو هذه الدلالة، فبان بهذا ونظائره أن بناء نبوة محمد ﷺ على دلالة القرآن ومعجزته ، وصار له من الحكم في دلالته على نفسه وصدقه أنه يمكن أن يعلم أنه كلام الله وهو بهذا يختلف عن الكتب السابقة فهي لاتدل على نفسها إلا بأمر زائد لأن نظمها ليس معجز "[1].

الشبهة الثانية :

التشكيك في كون القرآن معجزة وأنه من عند الله تعالى ، وافترائهم على نبينا محمد ﷺ أنه تقوَّله[2].

---

[1] المرجع السابق، ص٦٦.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص ٧٠.

الرد عليها :

خصص الباقلاني فصلاً كاملاً للرد على هذه الشبهة حيث بين ما يلي:

أولاً: أن القرآن الكريم وصل إلينا عن طريق النقل المتواتر وتعدى أرض العرب وانتشر في بلاد الروم والفرس، ووقف جميع المسلمين على جملته وتفصيله، وتظاهر القرآن بينهم حتى حفظه الرجال وتنقلت به الرحال، وتعلمه الكبير والصغير، ثم تناقله خلفٌ عن سلف، ثم مثلهم في كثرتهم، وهكذا حتى انتهى إلينا، وتواتره هذا يثبت أن القرآن من عند الله [١].

ثانياً: بيّن المؤلف أن الله تعالى قد تحدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ومن ذلك {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾} [سورة هود:١٣-١٤]، ولكنهم مع ذلك عجزوا عن معارضته والإتيان بمثله .

ثالثاً: "مما يدل على عجزهم أن الله تحداهم حتى طال التحدي وجعله دلاله على صدقه ونبوته وتضمنت أحكامه استباحة دماءهم وأموالهم وسبي ذريتهم، فلو كانوا قادرين على تكذيبه لفعلوا وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم"[٢].

رابعاً: اشتهر عن شعرائهم أنهم كانوا يتنافسون على الفصاحة والخطابة والذلاقة ويتفاخرون بينهم بذلك ومع ذلك تغافلوا عن معارضة القرآن وهذا يدل على أنه في غير مقدورهم أن يأتوا بمثل القرآن لأنه ليس من كلام البشر[٣] .

الشبهة الثالثة:

زعم بعض الناس أنه إن كان قد عجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثل هذا القرآن فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه ، ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة لأنهم خصوا بالتحدي دون غيرهم[٤] .

---

[١] ينظر: المرجع السابق، ص ٧١.

[٢] المرجع السابق، ص ٧٧.

[٣] ينظر: المرجع السابق، ص ٨٢.

[٤] ينظر: المرجع السابق، ص ٥٦.

الرد عليها :

رد عليها الإمام الباقلاني من وجهين :

"**أولاً:** أننا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله فمن بعدهم أعجز ؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول ، مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم، فأما أن يتقدموهم أو يسبقوهم، فلا.

ثانياً: أنا قد علمنا عجز سائر أهل الإعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول، والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد، لأن التحدي في الكل على جهة واحدة، والتنافس في الطباع على حد ، والتكليف على منهاج لا يختلف.

ولذلك قال الله تبارك وتعالى: { قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾} [سورة الإسراء:٨٨]"[١].

الشبهة الرابعة:

زعم بعض أهل الكلام أنه لا يمكن أن تعلم الوحدانية بالقرآن ، وأن ذلك مما لا سبيل له إلا من جهة العقل ولا يصح أن تُعلَم بالسمع او الشرع[٢].

الرد عليها :

أن القرآن كلام الله ، وقد ثبت إعجازه وأن الخلق لا يقدرون عليه ، وثبت أن الذي أتى به غيرهم ، وأنه صدق – كما ذكرنا سابقاً– ، وإذا كان كذلك كان ما يتضمنه صدقاً، وليس إذا أمكن معرفته من جهة العقل امتنع أن يعرف بالسمع كذلك، وهذا يدل على بطلان قولهم[٣] .

الشبهة الخامسة:

قال بعضهم أنه لا سبيل إلى معرفة عجز الجن عن الإتيان بمثل القرآن ، وقد يكونوا قادرين على ذلك لأنهم يقدرون على أمور دقيقة وخفية وغامضة لا نقدر عليها [٤].

---

[١] المرجع السابق، ص ٣٢٦.

[٢] ينظر: المرجع السابق، ص ٧٢.

[٣] ينظر: المرجع السابق، ص ٧٣.

[٤] ينظر: المرجع السابق، ص ١٠٥.

الرد عليها :

أولاً: أن الله تعالى أخبر في كتابه أن الجن لا تستطيع أن تأتي بمثل القرآن في قوله سبحانه { قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ } [سورة الإسراء:٨٨][١].

ثانياً: حُكي عن الشعراء أنهم تكلموا مع الجن وخاطبوهم ولهم أشعار معهم، مما يدل على أنهم مثل الإنس في عجزهم عن معارضة القرآن [٢].

الشبهة السادسة:

قولهم أن النبي ﷺ شاعر، وأنه أخذ من شعر العرب ، وأنه وجد في القرآن شعراً كثيراً، وأنه كذلك وجد في القرآن كلام موزون كوزن الشعر [٣] .

الرد عليها :

من عدة وجوه:

أولها : أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعراً لبادروا إلى معارضته؛ لأن الشعر مسخر لهم ومسهل عليهم ، فلما لم يفعلوا ذلك عُلِم أنهم لم يعتقدوا بأنه من الشعر.

ثانياً: ذهب العلماء إلى أن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعراً وأقل الشعر بيتان فصاعداً ، وقالوا ما كان على وزن بيتين ولكن اختلف رويهما وقافيتهما فليس بشعر ، وقالوا أيضاً أن الرجز ليس بشعر[٤] .

ثالثاً: الموزون في الكلام هو ما تساوت أجزاؤه في الطول والقصر والسواكن والحركات فإن خرج عن ذلك فليس بموزون والقرآن ليس من هذا القبيل[٥] .

رابعاً: خصص الباقلاني في كتابه فصلاً كاملاً للمقارنة بين شعر العرب وخطبهم وبين القرآن الكريم؛ ليبين أنه ليس بمقدور أحد من البشر أن يأتي بمثل القرآن وأن أسلوبه يختلف عن الأسلوب المتعارف عليه في الشعر والنثر .

---

[١] ينظر: المرجع السابق.

[٢] ينظر: المرجع السابق، ص ١٠٨.

[٣] ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٨،١٢٢.

[٤] ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٥ .

[٥] ينظر: المرجع السابق، ص ١٢٨.

الشبهة السابعة:

ذهب بعض الناس إلى إثبات السجع في القرآن ومما استدلوا به قوله تعالى **{هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾}** [سورة طه:٧٠] حيث قدم هارون على موسى لدواعي السجع ولتساوي مقاطع الكلام مع أن المعروف أن موسى أفضل من هارون والمفروض – في رأيهم – أن يقدم عليه في الذكر [١] .

الرد عليها :

هذا الزعم غير صحيح وقد رد عليه المؤلف من عدة وجوه:

أولاً: لو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليبهم وكلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز[٢].

ثانياً: أن الذي يقدّرون انه سجع فهو وهم؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، ولو كان الذي في القرآن مما يزعمون أنه سجعاً لكان مذموماً مرذولاً ؛ لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه كان قبيحاً ، وللسجع منهج مرتب مضبوط متى اخل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه وكان خارجاً عن الفصاحة [٣].

ثالثاً: أن ما ذكروه من تقديم هارون على موسى من أجل السجع فليس بصحيح؛ لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه، وهي أن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة والبلاغة وفي ذلك تنبيه على إعجاز القرآن الكريم[٤].

الشبهة الثامنة:

قال بعضهم: ثبت أن النبي ﷺ كان أفصح العرب كما ورد في الحديث الشريف "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ... الحديث"[٥]، وكان صادقاً في قوله ، فهل يمكن أن يكون القرآن من نظمه لقدرته في الفصاحة على مقدار لا يبلغه غيره[٦] .

---

[١] ينظر: المرجع السابق، ص ١٣٠.

[٢] ينظر: المرجع السابق.

[٣] ينظر: المرجع السابق، ص ١٣١ ،١٣٢.

[٤] ينظر: المرجع السابق، ص ١٣٥.

[٥] أخرجه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،ج١، ص٣٧١.

[٦] ينظر: إعجاز القرآن، ص ٣٥٨.

الرد عليها :

قارن الإمام الباقلاني بين خطب الرسول ﷺ ورسائله وكلامه المنثور وبين القرآن الكريم وجعل ذلك في فصل كامل ليبين الفرق الواضح بينهما ، وأن القرآن ليس من لفظ الرسول ﷺ وإنما هو كلام الله تعالى[١].

الشبهة التاسعة:

التشكيك في كون المعوذتين ليستا من القرآن الكريم لأن ابن مسعود لم يكتبها في مصحفه .

الرد عليها :

أن ابن مسعود اعتمد على حفظ الكل للمعوذتين لذا لم يكتبها في مصحفه، ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف[٢] .

تم بحمد الله

[١] ينظر: المرجع السابق، ص ٢١٤.

[٢] ينظر: المرجع السابق، ص ٣٥٩ .

الخاتمة

من خلال دراستي لكتاب (إعجاز القرآن) للباقلاني في هذا البحث، واستخراجي للشبه التي أثيرت حول القرآن والردود عليها ، توصلت إلى مجموعة من النتائج يمكن اختصارها فيما يلي:

١. سبب تأليف الباقلاني للكتاب هو كثرة الأقاويل التي أثيرت حول إعجاز القرآن الكريم.
٢. ناقش الإمام الباقلاني إعجاز القرآن من نواحي بلاغية ونقدية ، ولم يتطرق إلى وجوه الإعجاز الأخرى .
٣. أن الإعجاز اختص به القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية .
٤. كان الباقلاني في نقاشاته صاحب أسلوب علمي قويم .
٥. يعد كتاب إعجاز القرآن مصدراً من المصادر البلاغية الأساسية .
٦. كان الإمام الباقلاني من أعلم الناس بعلم الكلام وأفصحهم لساناً ، وذلك يظهر بوضوح في كتابه إعجاز القرآن.

ختاماً .. أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ، فإن أصبت فهو فضل من الله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

١) أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني . أحمد جمال العمري . المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، العدد الثالث. ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٢) إعجاز القرآن. القاضي أبي بكر محمد الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني. تحقيق: محمود محمد مزروعة. ط١. جدة:دار كنوز المعرفة ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٣) الأعلام. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. ط١٥. دار العلم للملايين٢٠٠٢م.

٤) تاريخ بغداد. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي. تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف.١٦ج. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي . ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٥) سير أعلام النبلاء. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط . ٢٣ج. ط٣. مؤسسة الرسالة١٤٠٥ هـ –١٩٨٥ م .

٦) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري. عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي . ٢ج. ط٢. المدينة المنورة: مكتبة طيبة .

٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي . تحقيق: إحسان عباس. ج٧. ط١. بيروت: دار صادر ١٩٧١.